

القصص

صور من هوميروس

٦ - حروب طروادة

القربان^(١)

للأستاذ دريني خشبة

لم يبق إذن على الأسطول إلا أن يقطع إلى طروادة
فيدمرها تدميراً!

ولكن البحر هادئ ، والرياح ناعمة ، ولا بد لهذه السفن
الثقيلة بالعدة والمديد من قوة هائلة تدفعها في هذا الضخم الساخرا
الأيام تمضي دون أن تستيقظ الريح!

واللال يدب في قلوب الجنود من طول ما لبثوا في تلك
الجملة من الشاطئ العابس التجم لا يرمعون!
واليرة تكاد تنفد.....

والخيل تملك حديدتها كأنها برمت بهذا الركود!

« كانغاس! »

« مولاي! »

« إذهب يا رجل فاستوح لنا أربابك ماذا تبني لتطليق

الرياح؟؟..... »

« ليك يا مولاي »

وانطلق عمراف الحملة إلى المبد القريب فكث غير قليل ،

وعاد بقلب مرهون ، وجسم مضطرب ، ووجه مُغبر ،

(١) اعتدنا في تلخيص هذا الفصل — علاوة على هوميروس —

على درامة يوريبيدز الخالدة (Iphigenia) ، وذلك لأن ما وصلنا من

هوميروس عنها متضرب ، فكانت درامة يوريبيدز هذه ودرامته الأخرى

(إغنيا في أوليس) كالصرح السهب لها

وجبين كاسفٍ معقد

« ما وراذك يا كانغاس!؟ »

« مولاي! »

« تكلم! تكلم يا كانغاس! »

« الآلهة! الآلهة عطشى يا مولاي! »

ولم يبالك المراف الشيخ أن سقط على نفسه من الأعياء ،
وعما يخترق فؤاده من المم وأسقط في أيدي القادة . . . وطالجوا
كانغاس بالماء ، ودهنوه بالطيوب ، حتى أفاق
وقال المراف مخاطباً أجامنون :

« مولاي! ابنتك يا مولاي! »

« ابنتي؟! ابنتي من؟! »

« إغنيا! . . . »

« ماذا؟ إغنيا ما لها؟! »

« لا بد من تقديمها قرباناً لا بد من أن يُطَلَّ دسها على

مذبح الآله الأكبر! »

« وليمة؟! »

« لكي تطلق الرياح من عقلمها ، ولكي تكون فيدي

للجيش كله ، ولهيلاس جيماً! »

« يا لهول! لا كانت هذه الحرب! »

وما كاد يقولها حتى تكسب القواد حوله ، وطفقوا

بترضونه : « من أجل الآلهة ، وفي سبيل الوطن! » ، والرجل

يكي وينشج ، ويُذهب نفسه شعاعاً!!

وأمرهم أن يتركوه وحده ليرى رأيه

فلما انصرفوا دعا إليه كانغاس ، وأخذ منه في حوار طويل ،

ثم رجاه أن يذهب إلى المبد فيضرع إلى الآلهة ، عسى أن تقبل

قرباناً آخر غير هذه الفتاة الحبيبة المنكودة ، سها غلت قيمة

هذا القران!

وقد كان !

قانه استدعى الرقيق المعجوز ، الذى كان يحمل دائماً بريد
القائد العام الى أرجوس ، ودفع إليه برقمة أمر فيها ألا تحضر
إنجلترا ! وأمره أن يسرع بها الى زوجته ، قبل أن تكون قد
أخفت أمهتها للسفر !

وأسفاه !

لقد اتى منالايوس - شقيق أجاممنون وزوج هيلين وملك
أسبارطة ؛ والذى من أجله شبت هذه الحرب - الرقيق المعجوز
حامل الرسالة ، فاستوقفه وقرأها !

ودارت الدنيا بالملك المحزون ، واحلوككت الحياة في عينيه
وقعد من قوره إلى أخيه فانتبره ، ونشبت بينهما معركة حامية
من السباب والتصيير . يدفع أجاممنون عن ابنته ، وفلقة كبده ،
ويفتسيها بنفسه وبالذنيا وما فيها ، ويعيره منالايوس بالوروق من
الدين ، وعصيان الآلهة ، وشق عصا الطاعة على السماء !

ولهما الكذلك ، اذا برسول يملنهما أن كليتمسترا ، زوجة
أجاممنون وابنتها إنجلترا ، تستأذنان في الثول بين يدي الملك ،
ويدي القائد العام ! !

يا لسخرية المقادير ؟

يتفجر الحنان في قلب منالايوس التصجر ، ويرق لأخيه
البائس اللتاع ، فيقول له : « أئى ! أئقدها يا أئى ! انها ابنتى
كاهى ابنتك ، فانقدها كما يحلوك ! ! »

وبهت أجاممنون لهول الموقف ، ولا يدري ماذا يقدم أو
يؤخر ؛ ثم يراه واقفاً وحده يبكى . . . كما يبكى الأطفال . . .
بمد إذ غادره أخوه

ويلح زوجته مقبلة ، فيصلح من شابه ، ويتكاف البشاشة
والتبسم ، وانها لبشاشة باكية ، ولانه لتبسم مر حزين ! !
- « أهلا أهلا إنجلترا ! ! مرحباً مرحباً كليتمسترا ! سفر

حميد ورحلة طيبة ! !

- « أين أخيل ، وماذا أعدتكم للاحتفال بالروسين ؟

- « أ . . . أ . . . أجل . ولكن لا بد أن تعودى أنت إلى

أرجوس !

وعاد كالخاس ، وأخبر أن الآلهة لا تبتنى بإنجلترا بديلا !

وانهزم أجاممنون الأب ، وانتصر أجاممنون المؤمن النقى
الورع ، الذى يقدر الآلهة ، ويعرف لها قدرها ، فأمر بقرطاس
وقلم ، وكتب الى زوجته كليتمسترا :

« بشراك يا حبيبتى !

أترفين أخيل ؟

أخيل الذى أصبح ملء الأسماع والأفواه والقلوب ! بطل
هيلاس الذى وعدتنا الآلهة طرودة على بديه ! الشاب الوسيم
القسم القوى الأبى الشجاع ! يتقدم أخيل لخطبة إنجلترا - ابنتنا
المحبوبة - ويود لو تزف اليه قبل أنت يقلع الأسطول لتدمير
طرودة ! انه لاشك سيرى في مرآة إنجلترا وطنه ، وحينئذ يكون
حرباً على الأعداء ، ونقمة عليهم من السماء !

أرسلها أيتها العزيزة ، وأحب الى أن تسرعى بإرسالها من
دون ما جلبه ولا عتاد ، فالوقت ضيق ونحن على وشك الامحار «
(أجاممنون)

وانطلق رقيق هجوز بالخطاب الى أرجوس . . . حيث تتوى
كليتمسترا في قصرها النيف « أريدى » مع ابنتها إنجلترا ،
وأبنائها الآخرين !

وخفق قلب الفتاة حينما أخبرتها أمها أن أخيل يريد يدها .
فقد كانت هيلاس كاهما تتحدث باسم الفتى ، وتصلى للآلهة التى
ورققته للانضمام إلى الجيوش النازية

خفق قلب إنجلترا . . . وكانما غرقت في لجة من الأحلام
التي تجيش عادة في قلوب المذارى ، حين يمر بهن هذا الطور
الناعم الجميل من أطوار الحياة . . .

ولكن ما الذى أوسى إلى أجاممنون بهذا التدبير ؟ ولم اختار
هذه الحيلة المكشوفة لاستدعاء ابنته التاعسة ؟ لا ندري !

لقد مرت أيام دون أن تحضر إنجلترا . ولم يكن الطريق طويلاً
أو شاقاً بين أوليس وأرجوس حتى تتأخر كل هذه المدة . . .
فهل حدث شئ . . . ؟

وكانما طول الانتظار قد أثار الماصفة من جديد في قلب
أجاممنون الأب ! فبدا له ألا يصدع لهذا الظلم الأولي ، ولو سار
بدها زنديقاً ملحداً مطروداً من جنة الآلهة ، مفضوباً عليه من
قلب الوطن ! !

- « أعود إلى أرجوس ! أعود وأترك ابنتي !

- « أجل ! تعودين وتركين إنجلترا !

- « والعرس ! وإعلان الخطبة على الأقل ؟ ألا أحضر شيئاً

من ذلك ؟ هذا لا يكون ! لن أعود حتى أشهد كل شيء ! »

وتصر كليتمسترا على بقائها حتى تحتفل بابنتها ، وحتى ترى

إلى هذا المسكر المجر والأساطيل المنتشرة في البحر كالدَّبِّي ،

تحبِّي ابنتها وتحبِّي أخيل ، وترقص طرباً للعروسين ! !

ثم يحدث ما ليس في حساب أحد ! !

يخصر أخيل ليقابل القائد العام ، وليبدي له سخطه وسخط

جنوده (الميرميديون) من طول هذا الانتظار الذي يبدو أن ليس

له آخر ... ويلج لديه في وجوب الأقلال إلى طروادة مهما

كلفهم الأمر !

وما تكاد كليتمسترا تسمع كلام أخيل ، وتسمعه يذكر

فرقة الميرميديون الشهيرة في جميع الآفاق يبسالها وكلفها

الخارق بالحروب ، حتى تعرفه ، وتعرف أنه أخيل ... أخيل

بمينه ... خطيب ابنتها ... وزوج إنجلترا الحبيب !

فتتقدم إليه هاشة عمية ، حتى إذا أنس إليها ، بدهته

بالدوال عن العرس !

- « عرس ؟ عرس ماذا ؟

- « عرس ماذا ؟ أأنت أخيل ! أأنت قد تقدمت إلى

أجا ممنون ، أمير أرجوس ، تطلب أن تكون إنجلترا زوجة لك ؟

ألم تطلب يد إنجلترا ؟ تكلم ! ... »

ولكن أخيل يصر مكانه باهتا ، لا يدرى ماذا يقول ، لأنه

لا يعرف مما قالت السيدة شيئاً ! ! وتحملن الملكة في أخيل طويلاً ،

ويتسبب العرق من جبين إنجلترا ، الفتاة البريئة ، لما ترى من حيرة

أنها ، وارتباك هذا الجندي الباسق الجليل ، الذي كانت تحمل به

زوجاً كريماً لها ! !

وكان هذا الموقف لم يرض أحداً ... حتى الرقيق الجوز ،

حامل بريد القائد العام ؛ فقد انفجر هذا الخادم الأمين من

شبهة الخلق ، فباح بكل شيء باح بكل ما سمع

من تحاور سئالابوس الملك ، وأجا ممنون القائد الأعلى ، بخصوص

هذا الزواج المفترى : « مولاي الملكة ! خذي حذرنا لفتانك

المسكينة ، إنها ستذبح ! إن الكهنة الأشرار سيذبحونها اليوم

ليسقوا أربابهم الظالمين من دمها الثمين ! إن أخيل الكريم لم

يتقدم ليطلب يد إنجلترا ! بل هو لا يعرف من أمر ذلك قليلاً أو

كثيراً ! ها هو أمامك فأسأليه ! ... »

وكان سواعق السماء جميعاً نزلت على قلوب القوم !

لقد محطمت كليتمسترا !

وذاب الثلج في عروق إنجلترا !

وزلزل أجا ممنون !

أما أخيل فقد شدته ، وحجبت ناظره سحابة كثيفة

من الذهول ! ثم ما هو إلا أن أفتق فاضطربت به الأرض ،

وأحرقه أن يتخذ مطية لهذا العبث العايب ، والسخرية المهينة !

وصاح الشاب كأنه أسد تهيج ، وانفدح شرر الغضب من

عينيه ، حتى خيف أن يبطن بأجا ممنون وجنوده ، ... كيا

يثأر لاسمه ، وبطهر كرامته

وانتهزتها الملكة فرصة غالية لتتخذ ابنتها من القتل ، فانبطحت

عند قدمي أخيل قبلهما ، وتفسلها بدموعها ، متوسلة إليه أن

يدفع عن إنجلترا ، ويحول بينها وبين الموت !

- « فان لم يكن بحسبك أن أمرغ خدي تحت قدميك

لتكون حامي ابنتي ، فانها هي أيضاً تفعل مثلي يا أخيل ! انها

تمرغ حُرَّ جبينها عند موطن هذه القدم الطاهرة لتكون حاميها

وحارسها ! ! »

- « فقي يا سيدتي ! وكلتي أباه في شأنها ، فان لم يحل بينها

وبين الموت ، فاني سأقتل من دونها حتى أنتقذها من الهلاك ،

ولو حاربت هيلاس جميعاً ! ! »

وترجو الأم زوجها أن يحول بين ابنته وبين هذه القتلة

الشيعة ؛ ويتصدع قلب أجا ممنون ، وتهمر دموعه شفقة على

الفتاة التعمية ... فيعد ! ولكن ... لات حين موعده ! !

لقد نعى إلى المسكر أن أخيل أنذر أن سيف دون الدم

الذي أمرت الآلهة أن يراق فميطوا وأحرقوا ، وذهبوا إليه

يتحسرون جليلة الأمر ، فصارحهم به ، فانقضوا عليه يرشقونه

بأسننتهم الحداد ، ويرجمونه بحجارة الشاطي ... فولى مدبراً ! !

ويذب عن بيضته ، وبملى كفته ...
وتنكب دموع أخيل ...
ويسير الجميع وراء إجنيا العظيمة ... إلى ... المذبح !!
فيا للفتاة ...
ويا للأم ...
ويا لأخيل البطل !

وتضع إجنيا رأسها على رخامة المذبح ، ويرهف الكاهن
مُدَيْتِه ... ولكن ؟ ... لقد شده القوم ... ونظر بعضهم
إلى بعض ... !

أنهم ينظرون فلا يرون إجنيا !!

بل يرون مكانها ظلياً ... رشاً غريراً !!

إذن هي المعجزة !! -

أقد تفتّر قلب ديانا الكريمة من أجل الفتاة ، فهبطت
من ذرى الأولاد لتتقدها ... فرفعتها إلى السماء ... ثم أرسلتها
لتكون راهبة معيها العظم في مملكة توريس (١)

وارتفعت أغاني الغواني ...

يسبحن للآلهة العطشى !!

دريش خشيبة

(لها بقية)

(١) إلى هنا تنتهي مأساة إجنيا فيطلق بحروب طروادة ، ومن
أراد مزيداً فليقرأ دراستي يوربيدز (١ - إجنيا في توريس ، ٢ - إجنيا
في أوليس) من ترجمة دانت الشعرية ، أو ترجمة جليبرت مورى الشعرية

وريمت الأم حين رأت إلى الير ميدون - جنود أخيل
الأمناء - يرجون سيدم فيمن يرجه من الجنود الآخرين ،
فعمّلت على أن تحمل السلاح وتقف إلى جانبه ، تذود هؤلاء
الوحوش !!
ولكن إجنيا الصغيرة ! إجنيا الفتاة ! إجنيا العظيمة !
وقفت في وجه أمها ، وصرخت قائلة :

« مكانك يا أماء ! لن يموت أخيل من أجل فتاة !

من أنا حتى يفتدبني هذا البطل العظيم ؟ وما حياتي النافهة
في حياته المذخورة الثالية ؟ ... إن رجلاً يحارب من أجل
هيلاس ، أجدد بالحياة من عشرة آلاف امرأة لا يستطعن إلى
حرب من سبيل ؟

أ ... !!

خلوا سبيل سيدكم ، فلن تفتح طروادة الا عليه ، كما أخبرت
بذلك آلهتكم ! ومادام النصر معلقاً بحياتي ، فكم يبهجني أن
أفدى الوطن ، وأرضى أربابي !! إن هيلاس كلها تنظر إلى
اليوم ! فهل نقرأ أكثر من أن أكون عند حسن ظنها بي !!
أنا لها ! أنا أقدبك يا وطني ! أماء ! لا تحزني ! أنظري إلى هانا
أبتسم للموت ... للقتل ... للمذبح ... هلموا يا سادة ...
هلموا ... أين للمذبح ... صلوا من أجل ... تحيا هيلاس ! .. »
وفي هذه اللحظة فقط ، تكبر إجنيا في عيني أخيل ، فيتمنى
لو أجلت في حياتها لتكون زوجة كريمة له ... ويعرض استمداه
للمناخلة عنها بسيفه ، ولكنها تنهأ ، وتوصيه أن يمشى لوطنه ،

مدارس الدواوين

الدرسة الثانوية تامة الفرق بشارع نوبار رقم ٨

تليفون ٤٠٨٠٤

والدرسة الابتدائية بشارع نوبار رقم ٥٩ ، ٦١

تليفون ٤٢٨٣٩

تقدم الطالبات على استشارة تصرف من إدارة المدرستين

تتمة اليتيمة

كتب الثعالي تكملة لبيتمة الدهر في جزأين استدرك
فيهما ما فات في أجزاء اليتيمة ، ولبثت على صرّ المصود
لا يعرفها إلا قليل من الأدباء حتى عني بنشرها من نسخة
وحيدة في مكتبة باريس الأديب الفارسي الأستاذ عباس
إقبال . وقد أرسل إلى القاهرة منها مائة نسخة . وهي تباع
في لجنة التأليف والترجمة . وتضمن الجزئين ٤٥ قرشاً

أفصوحة عراقية

نكتة العمامة

للأستاذ محمود . أ. السد

على الشرفة القريبة الكبرى ، في فندق دجلة الكبير ،
للشرف على الصاحبة وجسرها ، في ذات ليلة قراء من ليالي
سيف عام ١٩٣٥ ، كنا جماعة صغيرة من إخوان الصفاء ، فيها
طبيب وكيميائي وحقاني وأديب ؛ نحف بسيدة فاضلة ، وافدة من
بلاد المجر للسياحة ودراسة تقاليد العرب ، وأطوار سكان البادية ،
وأحوال العامة ، والأدب الشعبي غير المكتوب في العراق
نكرها مكبرين همها القساء التي جشمها عناء السفر الى بلادنا ،
في هذا الفصل الذي يشتد حره ؛ فهرب منه كثير من أهلها
الترقيين الى مصانف لبنان وغير لبنان ، فراحت تنتقل بين
القبائل أياماً وأسابيع ، ثم تعود الى هذا القصر الذي أعده أحمابه
زلاً للتجار والسياح والسياسيين والعلماء الأجانب من أوريبيين
وأمريكيين وغيرهم ، لتدون مذكراتها العلمية ، وتسجل ما تقف
عليه من قصص وأساطير ، وما يحكي لها الرواة من حكايات وروايات
تستعين بها على أداء مهمتها العلمية ، ولتسترخ يوماً أو أياماً قليلة
ثم تعود الى زيارة القبائل والتنقل في القرى والمدن باحثه مدونة
ثم تعود . . .

ومع أنها كانت تبدو للرأي في أقل من الأربعين من العمر ،
تقد كان يملوها جلال الشيوخ . وهي تنتمي الى « عصابة علمية »
تضم رجالاً أفذاذاً من الباحثين وعلماء الشرقيات . طويلة القامة ،
مفولية الملامح ، لأنها من سلالة الهون . عالة بخمس لعات ومنها
التركية الحديثة التي تعلمتها في استانبول . وقد عرفناها في ذلك
الفندق مصادفة . وكنا تؤمه كل ليلة . في الشتاء والصيف .
لترجي فيه بعض أوقات فراغنا بالحديث والسامرة ، واستطلاع
طلع « الغربيين » الكثيرين الذين نراهم فيه ، فنتقرب إليهم
متشوقين ، متبينين نواياهم ونوايا حكوماتهم في بلادنا ، مناغين
عنها ، ذاكرين لهم ما يخفي عليهم من محاسنها ، وما في طبيعة

عطينها وقطين الشرق كله ، وقرارات نفوسهم من سمو في الخلق
والماطفة وقرب الى الانسانية والحق والخير ، ناعين على العرب
ماديته وحضارته الرأسمالية الاستعمارية . وكثيراً ما كنا نجادلهم
عن إيمان بحقنا وبحق الشعوب المظلومة في الحياة ، فننتصر عليهم
أحياناً بقوة الحججة ، ويتصرون علينا أحياناً بالتمناد والمغالطة
والمكابرة وما إليها مما يتسلح الغربي به في مناظرة الشرق اليوم

وكان اسم هذه السيدة المجرية ماجدا

قالت ماجدا مخاطبنا في شيء من الاستغراب :

- « اليكم حادثة من حوادث قطاركم هذا ما كان أعزبها
عندي إذ تولتها مجلة في هذه الجريدة الانكليزية التي تصدر عن
عاصمتكم دار السلام بل التي كانت يوماً ما دار السلام »

وأخرجت جريدة « التيمس » البندادية من حقيقتها
فألقها على المائدة التي كانت في وسط مجلسنا منطاة بأقداح الشاي
ومدته . ثم ابتسمت وابتسمنا مدركين المعنى المقصود بقولها
عن بندادنا « التي كانت دار السلام » لأنها أصبحت دار الحرب
منذ سنة ١٩١٧ ، الحرب النارية الدامية أولاً ، والحرب السياسية
ثانياً ، وقالت :

- « هل يصدق أحد منا نحن معشر الأوريبيين لو سمع هذا
الخبر في بلده ، إذا كان يجمل حقيقة الحياة الاجتهادية في بلادكم :
أن صبياً في الحادية عشرة من العمر وأخاً له أسنر منه يقتلان
أختاً لها لأنها انحرفت عن صراط العقاب . هذا ما تقوله هذه
الصحيفة - اليوم - عن صبيين من حي (باب الشيخ) . فواحبياً !
حتى الصبيان يجمل منهم النخوة البدوية والغيرة قساة ذباحين ؟ »
قلت وقد بدا لي أن أهون عليهما ما سمعت :

- « لقد نقلت هذا الخبر جريدة أخرى وقالت عن الصبيين
القائلين إنهما يحترقان فحرجوزورلسي جزار . وربما كان احترافهما
هذه الحرفة التي ألفا فيها رؤية الدماء والضحايا من الحراف
وغيرها صياح مساء ذا أثر عميق في نفسيهما ، فهان عليهما ما فعلنا .
وأرجو ألا ترى سيدتي الفاضلة في ذلك دليلاً على وجود ميل
طبيعي في مواطننا الى التوحش وقتل الانسان . . . وأردت أن
أعلل الدوافع التي دفعت الصبيين الى إتيان هذا الأمر ، فلم تدع
لي مجالاً للكلام ، بل قالت ، وقد مضت ترتشف الشاي وتبدي

ما سادت عن طريق العقاف واسترلها شيطان من الانس وعبث بها فأتمت معه ، هو هذا المراقى العربي - سواء أكان خالصاً في عروبته أم لم يكن وهو يدعيها - الذى يعين في القرن العشرين ، والذى يمثل خير تمثيل بطلا الحادثة التى أتاحت لنا الفرصة لهذا الحوار ، إلا ملشد من الناس . وهؤلاء الشاذون محقوتون مكروهون يلبسون ثياب الحزى والمار أنى حلوا وأقاموا . وقد يوجد قارق بين رجل الأمس الذى كان يقدم على القتل وسفك الدم فى بيته لدرء المار عنه ، على الشبهة والظن ، ورجل اليوم الذى يتبين ويتريث حتى يأتيه اليقين بما يصح أن يدعو له لى لا بد له منه لىكى يُجرى حكم التقاليد ، وبجها فى قومه عزيزاً شريفاً لا يبطأ على رأسه المار ولا يذله ، ولكن هذا الفارق طفيف »

قالت وقد لدها الحديث وزادها الولوج بتدوين الحكايات والروايات عن تقاليدنا وعاداتنا شوقاً إلى استماع شئ جديد مما يدخل فيما خضنا فيه :

— « ألا نحدثونى بحادثة من حوادث العهد السابق لهدكم الحديث ، أسجلها إلى جانب هذه الحادثة التى سوف أستقصيها وأدونها بتفاصيلها ، فانها تنفى عن كثير مما يصح أن يروى عن قوة التقاليد - على ما ينميها السيد الصحافي - وشرف العامة وغيرتهم وحرصهم على المرأة من أن تمتد اليها يد التريب بما يشينها ويدنسها ؟ »

قلت :

— « أى عهد تمنين ؟ »

— « العهد الذى ختمته نهاية القرن التاسع عشر ؛ إذ أننا نعتبر تلك النهاية آخر حيط من الليل السابق لعهد اليقظة فى بلادكم ، وبداية الاتصال بالعالم التمدن »

قلت :

— « سأقص عليك قصة البطل الفيور عبد الحميد ، وهى قصة لحادثة واقعة فى النصف أو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، مما حكى لنا مشايخنا من حوادث بلدنا هذا ، قالوا :

نكتة سوداء من سخام القدر كانت فى عمامته ذات يوم ، لم يفتن اليها ، وقد جاء القهوة كما كان يجيئها كل يوم ، صرفوعاً رأسه على الرؤوس ، مغممة نفسه بخيلاء الفحولة وكبرياء

إيجاباً خارجاً عن موضوعنا بالقمر الزاهر الضئىء فوق دجلة ، فى سماء معروفة بجملها لى كل غربي ساح فى البلاد العربية ويطغ بفساد :

— « كلام لم يخطر ببالى أن أنهم العرب المراقين باليسل إلى التوحش وقتل الانسان لعين الأسباب التى تدفع غيرهم من أبناء البلاد المتأخرة إلى القتل وإزهاق الأرواح ظلماً وعدواناً . ولكننى استغربت أن تقع فى مثل هذه الآونة مثل هذه الحادثة التى تدل على روح قديم وعادات ، كنا نقرأ فى الكتب الباحثة فى أحوال العرب وعاداتهم وأخلاقهم وتاريخهم أنها كانت ، وحببنا أنها زالت من جراء الاحتكاك والاتصال بالغرب ، بعد دخول البريطانيين هذه الأقطار ، منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً ، الاتصال الذى له حكمه فى تنيير المادات والأخلاق »

قال طبيب من أصحابنا باريسى التحصيل لاتبين الثقافة :

— « لاشك فى أنه كان لدخول الانكليز بلادنا واتصال الغربيين بنا واتصالنا بهم اتصالاً لم يكن من قبل ، تأثير فى تنيير بعض المادات والأخلاق فى المدن الكبرى ولا سيما العاصمة ؛ ولكننا لو نظرنا ملياً فى التنيير الذى حدث لوجدناه منحصرأ لدى الطبقة العليا ، وبعض أبناء الطبقات الأخرى ، فى الأسر التى تعددت فيها الدماء واختلف ميراث السلالات المختلفة المتواشجة بالتزاوج . فكانت النتيجة حدوث انحلال أخلاق فى أفرادها ، لا ترى له مثيلاً فى أبناء القبائل والأرياف والبوادي والعامة فى المدن - الذين هم فى الأصل القديم من أبناء القبائل - والذين ينتسب اليهم هذان الصبيان . ألا تؤيدوننى فى هذا الرأى يا رفاق ؟ »

سكت بمضنا ، وقال بمضنا :

— « بلى »

وقال أحدنا وهو الصحافي :

— « إن أكثر عاداتنا وتقاليدنا - وقولى تقاليدنا أصح من قول السيدة الفاضلة والأخ الطبيب أخلاقنا - لم يتغير بمد . وأمنى بتلك العادات والتقاليد ما كان متأصلاً فى روح الشعب ممتزجاً بدمائه منذ قرون وأزمان . فالمراقى العربى الخالص فى الزمن القديم الذى كان يقتل زوجه أو أبة امرأة من آل بيته وذوى قربه إذا

« ويلك لم تبق إلا أمي العجوز ! »

تلك هي القصة التي قصها علينا المشايخ فيما قصوا وحفظوا من حكايات بغداد في زمن قديم خلا

لقد نحر عبد الحميد زوجه وأخته بيده ، واحدة تلو الأخرى ،

كما ينحر الجزار الخراف والبقر ، ليزيل السخام من عمامته . فمامته هي التاج ، تاج الشرف والمرض والكرامة فوق هامته في هذه

الحياة ، وشرفه وعرضه وكرامته شرف أسرته وعرضها وكرامتها ،

وكل أولئك من شرف قبيلته وحيه وعرضها وكرامتها ، فان

وسخ العار ذلك التاج ودنسه فلا يطهره منه إلا الدم والموت .

ولم يلم الرجل على ما فعل أحد ، لأنه فهم ما قال له صاحبه على غير

حقيقته ، بل لاموا صاحبه الذي لم يستطع إيضاح ما قصد بمبارته

التي توهم سامعها الاشارة والرمز إلى العاب والمار . فميد الحميد

كان يمثل العربي المراق ابن الشعب والقبائل بالأمس ، وان كان

يسكن داراً في بلد لا خيمة في بادية ؛ وهذان الصبيان يتلانه

اليوم أم تمثيل . فهما وذاك في الحقيقة واحد في ثلاثة ، وان

تباعد بينهما وبينه زمانها وزمانه »

قالت وكأنتها استدرجتني الى استعمال رأي لي فيما كنا

نتحدث فيه :

« وما رأيك أنت في هذا العقاب الذي كانت تعاقب به

المرأة عندكم اذا ما زلت بها القدم ، وما زالت تعاقب به ؟ »

« لا يسمى الناس قتل المرأة عندنا اذا ما أمتت عقاباً ،

بل يسمونه . بحكم العادات والتقاليد الموروثة . محوا للعار

وتطهيراً لمرض من الدنس . وإذا كنا نعتقد أن حياة الشعب

المادية هي التي تعلى عليه منهاج أخلاقه وتقرر له عاداته وتقاليد . »

« بلى . أعتقد ذلك . . . »

« . . . فان الحياة المادية لشعبنا الفقير المسكين لم تتغير

بمد تغيراً جوهرياً بالاتصال بالغرب لكي تتغير تلك العادات

والتقاليد لديه ، بل تغيرت الحياة المادية في القصور ، ولدى بعض

التفرنجيين من الموظفين ، وقول هذا تمليل متم لما كان قاله

أخونا الطبيب »

(العراق ، الأعظمية) محمد . أ . السيد

البطولة ، البطولة التي اعتلى عرشها المسكين في البلد بحق ، فهابه

الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتناول الرواة في الأحياء أخباره

في كثير من الوقائع الخطيرة التي صادف والأحداث التي شهيد

وكان الشطب — وهو آلة التدخين عند القوم في ذلك

الزمن — المفضض الطويل في يسراه يدخن به مفكراً صامتاً

ساعياً ، والدخان ينبعث من بين شذقيه كشيئاً

لقد قال له صاحبه أحمد الملبى ، وقد لقيه في الطريق قادمًا

من بيته قبيل ساعة : « إنك وسخنا أو سخاماً على رأسه » ،

وانصرف لطيبته وكان الناظر إلى وجهه يرى اثر عليه

بادياً في وضوح .

وما عثم أن قام إلى بيته متناقل الخطل ، قابضاً بيد، اليمنى

على خنجره ، رسول الموت الذي طالما أزهق الأرواح

وعاد بعد قليل ، فاقتمد مكانه الأول من القهوة ، وجعل

يدخن ، كما كان

ومر به صاحبه ، وكانت القهوة حائلة بالكهول والشيوخ

ذوى النظرات الفاسية والعمائم الكبيرة ، فنظر إليه قليلاً ، ثم

أقبل عليه ، جلس إلى جانبه ، ومال إليه برأسه يكلمه همساً :

« إن في عمامتك لثكنة سوداء نهبتك إليها فلم تر لها بمد »

كان الجواب نظرة تطاير منها الشرر ، ولكن أحمد لم يفقه

لها معنى

وكان سكوت ، ثم قام الرجل قارحاً صاحبه جالساً في مكانه ،

دهشاً ، ومشي إلى بيته متناقل الخطل ، قابضاً يمينه على خنجره

ذلك الذي طالما أزهق الأرواح

وعاد بعد قليل ، فاقتمد مكانه الأول من القهوة ، بجانب

صاحبه ، ثم جعل يدخن كما كان

قال له أحمد :

« غريب هذا الذي أرى منك أيها الأخ ! هل أنت آت

من بيتك ؟ كيف غفلت كذلك عن إزالة الثكنة من السخام

التي في عمامتك ؟ »

وهنا انفجر الرجل من شدة الغيظ ، وقام على قدميه مرتجفاً ،

وقد دارت به الأرض الفضاء :